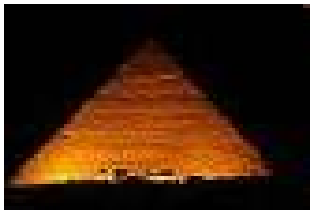

المنهجية التربوية:
تأملات في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام

القصة هي إحدى وسائل التربية تتميز بتوظيف كثير من المهارات والفنون والأفكار مثل سرد الأحداث , وأساليب الحوار, وفنون الأسئلة , وإثارة العاطفة,وتعصيف الذهن , وتشكيل المواقف , واكتشاف الشخصيات , والقدرة على غرس القيم والمفاهيم ، و تنمية الخيال والإلهام , لذلك استخدمها المربون والأدباء منذ فجر التاريخ في شكل أساطير وقصص واقعية لمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية و التربوية .

واستخدم القرآن الكريم في أغلب التعاليم أسلوب القصة بكل عناصرها الأدبية وأساليبها البلاغية مع بعض الفروق التي تميزها عن قصص الأدباء, ومن بين تلك القصص, قصة موسى عليه السلام مع الخضر, التي شملت دروسا تربوية بليغة تحدد العلاقة بين المعلم والمتعلم وأخلاق التعلم ومنهج العملية التربوية , وقواعد فقهية وأخلاقية في السلوك و المعاملة نطرحها وفق منهج تحليلي مستأنسين بكتاب التفسير للإمام الطبري, وتفسير الظلال, وقواعد اللغة, واستنباطات الفقهاء .

1-الإصرار على الهدف :

قال تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا)

أصر موس عليه السلام على بلوغ اجتماع بحر فارس والروم حتى وان أخذ زمنا طويلا بحثا عن الخضر عليه السلام ,وهي رحلة في سبيل طلب العلم , وكذلك طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة والى كل علم ورئاسة وصناعة ينبغي أن يثابر ويواصل مسيرته بالغالي والنفيس حتى يبلغ أهدافه , غير مبالي بالعقبات والمخاطر والتضحيات , إذ أن كثير من صور الفشل تأتي من تغيير الهدف عند أول عائق أو إغراء .

2- مستلزمات المسافر:

قال تعالى: (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا. فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر .عجبا .قال ذالك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا)

رافق نبي الله موسى عليه السلام فتى يافعا يذكر أنه يوشع ,وكان موسى عليه السلام يعرف المكان بعلامات دالة عليه بوحي من الله تعالى , وهي ظاهرة تسرب الحوت إلى البحر عند الصخرة وهو غداءهما في الطريق , بعد تجاوز المكان وحصول التعب والنصب, طلب الغداء فتذكر الفتى تلك الظاهرة وسرد ما رأى , فعادا على آثارهما الى مكان الصخرة أين يلتقي مع العبد الصالح الخضر عليه السلام. ومن أهم الدروس في هذا المشهد هي:

- أهمية وجود مرافق في السفر مساعد وأنيس من شأنه يقوي العزيمة والإرادة و يتقاسم المشقة والمهمة.

-التعرف على مسالك الطريق في السفر واختيار وسائل مادية مثل الخرائط والبوصلة والصور الشارحة لطبية الطريق, فان في عصر موسى لم تكن هذه الوسائل متوفرة فعوضه الله تعالى بالوحي الذي حدد علامات الهدف

-التجهز بالغداء واللباس و الأغطية الضرورية اتقاء الحر والبرد.

3- صفات المعلم والمتعلم :

قال تعالى : (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما .قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا .)

يحمل المعلم صفات أساسية للتربية والتعليم تؤهله لأداء مهمته بإتقان هي أولا: العبادة لله تعالى التي تغرس في القلب الإخلاص والخشية والتجرد من المطامع الدنيوية , ثانيا : الرحمة التي تنبع من الحب والشفقة, وتشع الرفق و الحلم مع الناس ، ثالثا: العلم الذي يدرك به حقائق الأمور , ويعرف به الخير والشر .

أما المتعلم فتتميز بالتواضع لمن هو أعلم منه والأدب والاحترام, رغم أن المتعلم هنا هو نبي الله ومن أولي العزم من الرسل الذي كلف بهداية الناس إلى الإسلام

4- الشروط النفسية للعملية التربوية :

قال تعالى :(قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا .قال ستجدني إن شاء الله صابر ولا أعصي لك أمرا. قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.)

يقوم المعلم الخضر عليه السلام بالتحضير النفسي للوقائع التي سيراها موسى عليه السلام لأنها تخالف المنطق العقلي والأحكام الظاهرة التي تعارف عليه الناس , لذلك يحتاج المتعلم إلى الصبر وضبط النفس , أما المتعلم فتعهد بالطاعة والانقياد للتعليمات , كما يضع المعلم شرطا أساسيا للعملية وهو تجنب السؤال والاعتراض حتى يتسنى له تفسير وكشف خفايا هذه الوقائع.

ويستفاد من هذا الآية أن يقوم المربي بالتحضير النفسي والعقلي للتلاميذ دون شرح أهداف التجارب المرتقبة , وذلك بما يستلزم من المهارات والمعارف والأخلاق النفسية التي تؤهل التلميذ للتفاعل الجيد مع الظاهرة ، وأحسن أسلوب لهذا التحضير هو الحوار والمناقشة .

5- تجارب عملية مثيرة :

- **الأولى: خرق السفينة في البحر**

قال تعالى : (فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا .قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا .قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا.)

أول تجربة يتعرض لها موسى عليه السلام هي أن خرق العبد الصالح سفينة في البحر تحمل أفرادا , وهذا الفعل يتنافى مع المنطق العقلي اذ أن الخرق سيؤدي غرق السفينة وهلاك أصحابها وهو ما استنكره موسى فرآه شيئا عجبا ، ولكن المعلم يذكره بالشروط السابقة ألم أقل انك لن تستطيع الصبر وضبط النفس , ويطلب موسى المعذرة بسبب النسيان وصعوبة التحمل .

- **الثانية : قتل طفل**

قال تعالى:(فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا .قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا. قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا.)

ثم واصلا المسيرة حتى إذا لقيا غلاما فقتله الخضر عليه السلام, أليس ذلك منكرا شنيعا حينما يقتل طفلا بريئا لم يرتكب جرما يستحق عليه العقاب , فاهتزت نفسية موسى عليه السلام استنكارا لهذا العمل , فيذكره المعلم مرة ثانية ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا .

- **الثالثة : عمل شاق بدون أجر**

قال تعالى: (فانطلقا حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه.قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا .قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.)

يواصل الرجلان الطريق حتى وصلا إلى قرية فطلبا الطعام من أهلها فرفضوا ضيافتهما, ثم وجد الخضر عليه السلام جدارا على وشك الانهيار فقام ببنائه بجهد وتعب ومشقة دون أن يطلب أجرة عمله, يقول سيد قطب: (وهنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف. ما الذي يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه ويقيم جدارا يهم بالانقضاض في قرية لم يقدم أهلها الطعام وهما جائعان, وقد أبوا أن يستضيفوهما ؟ أفلا أقل من أن يطلب عليه أجرا يأكلان منه ؟ قال:لو شئت لاتخذت عليه أجرا !) ويكون هذا السؤال هو نهاية الرحلة والتعليم ليقدم العالم تفسيرا للوقائع الثلاثة.

6- التأويل وتفسير الظواهر:

ا - الموازنة بين المصلحة والمفسدة :

قال تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا.)

إن خرق السفينة كان تجنبا لخطر داهم لا محالة يتمثل في سطو ملك على كل سفينة سليمة من العيوب وفي ذلك هلاك و ظلم لهؤلاء المساكين. وقد استنبط الفقهاء من هذه الآية قاعدة فقهية جليلة:(دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما) ومنها يمكن استخراج فكرة تربوية مهمة هي تعليم الطالب كيف يقارن و يوازن بين مشكلتين متعارضتين سواء من جهة المصلحة الصغرى والكبرى أو من جهة المفسدة الصغرى والكبرى ليختار القرار الصائب الذي يساعده على الوصول إلى الهدف دون تجاوز الثوابت الأساسية.

ب- حفظ الدين أولى من حفظ النفس :

قال تعالى : (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا .فأردنا أن يبدلهما ربهما خير منه زكاة وأقرب رحما.)

هذه الآية لا تجيز قتل الأطفال, ولكن بوحي من الله تعالى أخبر الخضر عليه السلام أن هذا الغلام سيكون طاغيا وكافرا مما يسبب فتنة في دين وإيمان والديه, ورحمة بهؤلاء المؤمنين فان الله تعالى أراحهما من الإرهاق والفتنة وسيعوضهما بخير منه زكاة وأقرب رحمة .

و لنتأمل في هذه الواقعة أهمية الدين والإيمان في حياة البشر وخطورة الكفر والضلال، لذلك على الأسرة أن تولي عناية كبرى بتربية الأبناء حتى لا يتحول البيت إلى جحيم من الانحراف والطغيان ومنبع للشرور في المجتمع.

جـ- صلاحك وتخطيطك واجب لضمان رعاية الله لأبنائك:

قال تعالى: (و أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا.)

أما الجدار الذي أتعب نفسه في بنائه في حالة واهية من الجوع رغم عدم ضيافة أهل القرية لهما ، فإنما يعود إلى غلامين يتيمين ضعيفين لا يستطيعا أخذ أموالهما إذا انهار الجدار, ولأن أبوهما كان رجلا صالحا فقد تكفل الله برعاية الكنز والأبناء حتى يشتد أكبرهما ليتولى الميراث .

يستفاد من هذه الآية أن :

- المسلم الصالح يتكفل الله برعاية ثروته و أبنائه, وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : (نعم المال الصالح للرجل الصالح).

-الصلاح يوجب التخطيط والاحتياط لحياتك ومستقبل أبنائك , قال الرسول ﷺ: (لأن تترك ورثتك أغنياء خير من تتركهم عالة يتكففون الناس)